لا تقتله.. وتقتلها!

إبراهيم سيدي

نعم لا تقتله بكلمة طائشة لا تلقي لها بالًا؛ تدمر فيها موهبته وتقتلها هي أيضا، وتقتل بها أحلامه، وتجعله يهيم على وجهه في دنياه لا يعرف أصدقا ما قلته به أم كذبًا، وحتى لو كذب ما قلت له فلن ينساه، فلا تقتله وتقتل ما به من موهبةز

ومقالي هذا موجه في المقام الأول لكل شخص كرمه الله أن يقف أمام طلاب علم بمختلف المراحل؛ وخاصة المراحل الأولى، فطلابها كالطين المبتل الذي لم يقسى بعد، تشكلهم الكلمات على ما تصل به إلى مسامعهم وتقبع في عقولهم، ومن ثم لنفسي ولكل إنسان يعيش على هذه الأرض يستطيع لسانه النطق أن يتخير الطيب من الكلام ويقله وإلا فليصمت.

وهؤلاء الأطفال والطلاب الصغار كنت يوما من الأيام واحدًا منهم ولا زلت أذكر ذلك المعلم الذي كان ينهرني وينهر معي عدد من الطلاب عند فشلنا بحل المسائل الرياضية، وكأن العيب فينا وليس في شرحه، حتى أنني كرهت مادة الرياضيات بأكلمها في باقي مراحل تعليمي لذلك السبب؛ وهو أسلوبه في الشرح ثم كلماته المحطمة، ولكني بفضل الله تجاوزت هذا الكره أو هذه العقدة النفسية وأصبحت محبا لمادة الرياضيات، ولكن هناك غيري كثيرون لم ينجوا، وقتلت بهم موهبة لو كانت زرعت بكلمات طيبة لأصبحت موهبة وطنية ووصلت العالمية، وربما أصبحت موهبة تاريخية أيضا، من القلب أقولها: رحم الله تلك المواهب التي ماتت في مهدها، وبمقالي هذا أرجو كل معلم أن لا يقتل موهبة في مهدها في أحد طلابه بكلمات قاسية لا يلقي لها بالًا، وليكن هو زارعها ونحن جميعًا حاصدوها وليس هو وحده أو صاحبها وحده.

وأنا اليوم شاب ولا زلت أذكر موقفًا لأحد أستاذتي في مراحلي التعليمية الأولى الذي أهداني قلما لحسن سلوكي في الفصل، لقد رزع في دواخلي جميلا لا يمكن أن أرده له إلا بالدعاء غفر الله له ولكل معلم أحسن لطلابه، والموهبة تصيح في صدر صاحبها لمعلمه راجية لا تقتلني لا تقتلني، نعم لا تقتلها في مهدها فهي لشخص ربما يكون مخترعًا عظيمًا أو رسامًا كبيرًا أو رياضيًا فذًا، وكل هذا يبنى في صاحب الموهبة في سنوات حياته الأولى، فهو يكون فيها كالزرع الضعيف الذي يسكن الوادي الفقير ماء والعديم تربة، وبكلمة من معلمه تتفجر ينابيع بهذا الوادي، ويشتد عوده وعود موهبته معه، ويصبح تاريخًا حافلًا بالإنجازات العظيمة بكلمة طيبة تشجيعية ألقاها معلمه في خلده.

مخطئ من يظن أن القتل فقط هو ما نراه أو نسمع به؛ أن شخصًا قتل شخصًا آخر بسلاح، لا؛ فهنالك أنواع من القتل أشد، وأولها القتل بالكلمة السوء، قتل أمل في دواخل إنسان لم يبقى في صدره من الأمل إلا بصيص، قتل موهبة داخل إنسان بكلمة محبطة لا يلقي قائلها لها بالًا، وقتل الكلام أشد من قتل السلاح، وبطش الكلمة أشد من بطش القتل، قد يقتل السلاح الإنسان مرة ولكن الكلام السيء يقتل الإنسان مرات ومرات، وربما يجعله ميتًا بين الأحياء.

ولو تفكرنا قليلا في ديننا الحنيف لوجدنا أن الدين الإسلامي العظيم قد جعل الكلمة الطيبة صدقة، وهي لا تأخذ منك مجهودًا يذكر، ولكن لها أجر عظيم، فلا تقتل أيها المسلم أخاك المسلم بكلمة سوء تلقها في خلده وعلى سمعه وأنت لها غير واع، أو ربما واع وقاصد وهذا أمر آخر، أمر يتعدى في بشاعته كل وصف وتوصيف، أمر ستسقى من كأسه مهما طال بك زمانك، أو ربما يسقى به ابن من أبنائك وحينها الويل والويلات والحسرات، لا تستهن أخي بعظيم، فتكون جاهلًا مع الجاهلين، وكن منطوقَ خيرٍ في كل أقوالك أو اصمت، ولا يجد متصفح التاريخ في صحفاته صامتًا ندم على صمته، ولكن وجد الكثير ممن ندموا على كلمات خرجت منهم، احذر كلماتك أو اصمت.

وأنت أيها المعلم قد كرمك الله بمكانة ومنزلة بين الناس عظيمة، فالأحق أن ترعاها وتحمد الله عليها وتشكره، وشكرك لها فعلا وقولا، وكل طالب عندك هو ابن وأخ لك فاحرص على كلماتك، فكم من معلم أخرج للدنيا عالمًا، وكم من معلم قتل موهبة في مهدها، فتخير أي الفريقين تريد.

ومن مقامي هذا شكر لكل معلم ومعلمة أفنوا أعمارهم في التعليم؛ أسمى رسالة في الدنيا وأعظم مهنة، ولا يفيكم حقكم أيها المعلمون كلام مهمًا تزينت أحرفه، ولا أجد لكم سوى الدعاء؛ وفقكم الله لكل خير وسدد خطاكم.

إبراهيم سيدي @abr14ab